مقدمة

الطبعة الثانية

بعد نفاذ الطبعة الأولى من كتاب : " <u>الحقيقة المطلقة .. الله والدين والإنسان</u> " ، وانعقاد العزم على إصدار الطبعة الثانية ، تم مراجعة الطبعة الأولى وعمل بعض التعديلات الهامة التالية :

١. تم التوسع فى ذكر بعض المذاهب الفلسفية **كالعدمية والعبثية** وخلافه لتكاملية الكتاب ، كما تم التوسع فى ذكر بعض التعاريف الأكاديمية والأساسية الأخرى .
٢. تم عرض العقيدة الألفية السعيدة بتفصيل ونشأتها بدلا من الإشارة إليها سابقا .
٣. تم عمل بعض التعديلات الطفيفة فى سياق بعض البراهين السابقة .
٤. تم التوسع فى الردود على التساؤلات التي وردت على بعض فقرات الكتاب السابق ، والتوسع فى التعليقات والتذييلات بإضافات أكاديمية هامة . كما تم إضافة ملحقين هامين (الثالث والخامس) .
٥. تم تكبير " **فونت : Font** " الكتابة ، حيث كان صغَر الـــ " **فونت : Font** " فى الكتاب السابق مثار شكوى من بعض السادة القراء .
٦. تم تلافى الأخطاء المطبعية السابقة ، كما تم تشكيل آيات القرآن المجيد المستخدمة فيه .. وكذا تشكيل فقرات الكتاب المقدس .. بنقلها من مصادرها مباشرة .

ثم تبقى ملحوظة أخيرة أساسية وهامة ؛ حيث كانت النية متجهة إلى تجزيء هذا الكتاب إلى جزئين **كنوع من التسهيل على القاريء العربي الذي كاد أن يهجر القراءة ، <u>ولكني عدلت عن هذه الفكرة لأن هذا سوف يخل بتكاملية الكتاب الفكرية</u> .. لذا أقدم اعتذاري للقاريء ..** لأني سبق وأن نوهت بأن الطبعة الجديدة من هذا الكتاب سوف تصدر في جزأين .. وليس في صورة الكتاب الواحد المتكامل الحالي .. على النحو السابق إصداره ..

وفيما عدا هذا فالكتاب يجرى على نفس النسق السابق .. والله الموفق والمستعان ..

مقدمة الطبعة الأولى
وتمهيد أساسي
لبيان علاقة المنهاج العلمي بالقضية الدينية

من البديهى كلنا يعلم أن هذا الصرح العلمى الشامخ الذى نعاصره اليوم ، قد تم بناؤه بتعاون بنى الإنسان ، ليس فى زمن معين فحسب ، وليس فى حضارة معينة فحسب ، بل تم بناؤه على مر الأزمنة والسنين والحضارات .. وقد شاركنا نحن جميعا ــ بنى الإنسان ــ فى بناء هذا الصرح الهائل من العلم . وجميعنا الآن يتمتع بنتائج عمل آخرين ليس لنا بهم علاقة مباشرة ، ولكنها هى المساهمة الإيجابية التى قدمها الإنسان لأخيه الإنسان من أجل رفاهيات وسعادة جميعنا يسعى لبلوغها . وقد يكون من الغريب حقا ؛ أن يتعود الإنسان على قبول العطاء على المستوى العلمى بل ويمجده ؛ بينما نجد هذا الإنسان يقف ــ فى نفس الوقت ــ ويغلفه الجمود والتعصب ، ولا يقنع بأى عطاء على المستوى الدينى فحسب ، بل يرفضه أيضا رفضا قاطعا فى أغلب الأحيان ، هذا إن لم يكن فى كل الأحيان ..!!

ومن الغريب حقا ؛ أنة **على الرغم من** التقدم العلمى والتقدم التكنولوجى الذى أحرزه الإنسان فى كل المجالات تقريبا ، وكذلك تحسن إدراكات الإنسان بدرجة ملحوظة وفهمه الآن للنظريات العلمية الكبرى التى قاربت أن تدخل ، أو دخلت فعلا ، جذورها ونتائجها فى حيز الفكر الغيبى ، أو ما يسمى بحيز الخيال العلمى ، **إلا إننا** نجد أن هذا الإنسان يقف ويغلفه العجز الكامل والحيرة الشديدة أمام " **القضية الدينية** " ، حيث ما زال الإنسان مترددا بين قبولها على إنها " **قضية حقيقية** " فعلا ، أم إنها مجرد " **قضية وهمية من صنع خيال الإنسان وفكره** " تعكس ضعفه المتناهى أمام هذا الوجود الغير متناهى . أو أن " **الدين** " هو المحاولة المبذولة من جانب الإنسان لتبرير وجوده الغير مدرك ، فى هذا الوجود المدرك والغير مدرك معا ..!! أو أن " **الدين** " هو الإضطراب النفسى أو الإضطراب الباطنى **للإنسان** الناتج ، **عن** وعيه لنفسه ــ ككائن متميز ومختلف عن الطبيعة المحيطة به ــ وبنهايته التى يحدها الموت ، **وعن** الضغط الواقع عليه نتيجة غريزة حب البقاء التى تفرض عليه التمسك بهذا الوجود .

وعلى الرغم من أنه يمكن إعطاء الإنسان بعض الحق فى هذا الموقف من الدين ، نظرا للميراث الدينى الذى خلفته له التجربة الدينية المريرة والفاشلة ــ معا ــ والتى خاضها مع الأديان الوثنية والموجودة الآن على ساحة الفكر البشرى ، وتناقضها الصارخ مع ما انتهى إليه الإنسان من منطق علمى ثبت صلاحياته بشكل مطلق على مر حضارات الإنسان وعلمه . إلا إن هذا لا يعطى الإنسان العذر الكافى أو المبرر المعقول فى أن يغلق الطريق أمام نفسه نحو المعرفة الدينية الصحيحة فى هذا الإتجاه ، وهو أحوج ما يمكن لها لإدراك المعنى الحقيقى من وراء وجوده ، وما سيؤول إليه من مصير . إننا ــ معشر الإنسان ــ شركاء فى هذا الوجود ، ولقد تشابكت أيدى الجميع للبحث عن الحقيقة المطلقة بمعناها الشامل ، ولكن اقتصر هذا البحث ــ حتى الآن ــ على ظاهر محدود فقط من هذه الحياة الدنيا ، لهذا أصبح لزاما علينا ــ مع التطور الحالى ــ أن نخطوا الخطوة التالية لنتعدى ذلك الظاهر المحدود إلى الواقع الغير محدود من هذا الوجود ، ولنتجه معا للبحث عن الوجود المطلق بعقل متفتح ورؤية كلية بعيدة عن التعصب والاستغلاق الفكرى ، خصوصا بعد أن تحسن ما لدينا ــ كثيرا ــ من إدراكات جعلت من رؤيتنا للطبيعة أكثر شمولية وموضوعية عن ذى قبل .

إن " **الوجود المطلق** " ، كما سنرى حالا ، لا يمكن أن يعبر عنه إلا " **القضية الدينية** " . والقضية الدينية ــ كما سنرى ــ ليست " **قضية غيبية** " على الإطلاق ، كما نشأنا على الاعتقاد الزائف فى هذا ، بل هى ــ فى الواقع ــ " **قمة قمم القضايا العلمية** " ، وليس هذا فحسب ، بل هى " **قمة قمم القضايا اليقينية** [1] " أيضا ، بالمفهوم الحرفى والكامل لهذا المعنى ، حيث يكون الإنسان فيها ــ أى فى القضية الدينية ــ حاضرا ومستقبلا ، وجودا ومصيرا ، علما وفيزياء ، أرضا وكونا [2] ... إلى آخره ، جزئية صغيره من واقع تضمه هذه القضية الكلية .

---

[1] " اليقين " هو العلم الذى لا يحتمل الشك ، وبالتالى فإن " القضية اليقينية " هى قضية صحيحة صحة مطلقة ، بينما " القضية العلمية " ، فهى قضية صحتها دائما " معلقة " بعدم إكتشاف ظواهر جديدة لا تحققها القضية العلمية المعنية . فإن وجدت مثل هذه الظواهر التى لا تحققها " القضية العلمية " ، أصبحت " القضية العلمية " فى هذه الحالة قضية صحيحة صحة جزئية ، وليست صحة مطلقة . والأدلة على هذا فى مجال الفيزياء التطبيقية متعددة نذكر منها على سبيل المثال الحكم على النظرية الذرية لـ " نيلز بوهر " ، والذى جاء بعدم الدقة ، وذلك بعد صدور هذه النظرية (أو هذه القضية) بحوالى عشر سنوات من ظهورها (أنظر الحكم فى صفحة ٤٥٧ من هذا الكتاب) .

[2] كلمة " علم " لها مدلول أعم وأشمل من مدلول كلمة " فيزياء " ، فالعلم يشمل الفيزياء وغير الفيزياء . و كلمة " الكون " تشمل جميع صور الطاقة ، والكواكب والنجوم والمجرات والكوازارات والثقوب السوداء .. والمادة السوداء .. إلى آخره .

وبادئ ذى بدء ؛ لابد لى وأن أؤكد على أن : " **القضية الدينية** " ليست " قضية صراع بين حضارات مختلفة " ، وهى أيضا ليست " قضية صراع بين أيديولوجيات [٣] مختلفة " ، كما وإنها ليست " قضية تبشيرية " فى أديان تتخبط فى تحديد هوية أصنامها . وهى أيضا ليست " قضية سياسية " لكسب أتباع ما أو أرض ما . ولكنها فى الواقع ؛ هى " قضية وجود الإنسان نفسه ومصيره هو " . ذلك الإنسان العاجز الذى سرعان ما سيدب فيه الفناء وتدركه الشيخوخة ، هذا إن لم يدركه الموت قبل هذا ، ليغادر هذه الحياة إلى اليقين الكامل .. ليقف وجها لوجه ــ بحواسه كاملة ــ أمام الحقيقة المطلقة ، حيث يكون هو الخاسر الوحيد لنفسه فى هذا الوجود ، إذا لم يتنبه إلى المعنى الحقيقى للقضية الدينية ، لأنه بهذا سوف تفوته الفرصة الوحيدة ــ أثناء حياته الأرضية ــ لتحقيق الغايات من خلقه ، لأنه لم يدرك المعنى الحقيقى من وراء وجوده ، كما لم يدرك الغايات المطلقة من وراء وجود هذا الوجود ..!!

إنه لم يعد من المقبول منطقيا الآن ، ونحن نقف في بداية القرن الواحد والعشرين ، وبعد أن وصلنا إلى كل هذا الكم التراكمى من العلم فى جميع فروعه ، كما لم يعد يفصل بيننا وبين النظريات الشمولية الآن إلا خطوة واحدة أو بضع خطوات قصيرة أوشكنا أن نقطعها ..!! **لم يعد من المقبول منطقيا بعد كل هذا** ، أن نقف تجاه الدين هذه الوقفة التى تتسم بالبدائية والبعد عن الواقع والنظرة القاصرة ، بدون الدراسة الكافية التى تنتهى بنا إلى الأحكام القاطعة بشأن هذه القضية الهامة . أو أن نقف هذه الوقفة القاصرة من الدين بدون الاستفادة من القوانين العامة التى انتهينا إليها ، والتى يمكن أن تعاونا بشكل مباشر فى أن نقول الكلمة الفصل فى هذه القضية المصيرية بالنسبة للإنسان ووجوده ..!!

صحيح إنه يجب علينا الاعتراف بأن الحائل الوحيد الذى يعوق بلوغنا إدراك المعنى الحقيقى للدين هو قصور الفكر فى هذا الاتجاه ، إلا إن هذا ليس عذرا كافيا أو مبررا معقولا فى أن نقف مكتوفى الأيدى عن الكف فى بذل المحاولات الكافية لإستكمال هذا النقص المعرفى فى هذا الاتجاه بشتى الوسائل . بل يجب علينا أن نولى موضوع الدين ، العناية الكافية من ناحية الدراسة الحرة بدون الحساسيات التى يمكن أن تفرضها علينا الوراثة الدينية أو كهنة العقيدة .

---

[٣] الأيديولوجية (Idiology) : هى مجموعة نظامية من المفاهيم فى موضوع الحياة أو الثقافة البشرية . أو هى طريقة (أو محتوى) التفكير المميز لفرد أو جماعة أو ثقافة . أو هى الأهداف المتكاملة التى تشكل قوام برنامج سياسى إجتماعى لأى مذهب .

إن رفض الإنسان لقبول مبدأ إخضاع " **فكر العقيدة للفكر العلمى السائد** [٤] " ، حتى يمكن الوصول إلى الحكم القاطع فيها ، يجعل من الإنسان هو ذلك الأحمق الذى تصل به درجة الحمق المحنى وقصور الفكر .. إلى الحد الذى يجعله يطعن نفسه بنفسه .. ويهلك نفسه بنفسه .. بدون أن يعى .. وبدون أن يدرك ماذا يفعل ..!!

إن الأمانة العلمية تقضى ، كما تقضى علينا الأخوة البشرية أيضا ، وكما يحتم علينا ذلك أيضا " الله " (ﷻ) [٥] ، أن نمد يد العون إلى بعضنا البعض فى جانب العقيدة ، كما مددناها إلى بعضنا البعض فى جوانب العلوم والمعارف الأخرى . كما يجب أن نقف من بعضنا البعض موقف صدق ، تكون فيها التبصرة غايتنا .. والمصارحة فيها منهاجنا .. وتوعية بعضنا البعض هدفنا ، وذلك قبل فوات الأوان ، وضياع الفرصة الحقيقية للمعرفة ، حيث يكون الخاسر الوحيد فى هذا الوجود .. هو ذلك الإنسان ، الظلوم لنفسه ، الجهول بحقيقة وجوده ، والذى جاء إلى هذا الوجود ولم يحقق الغايات من هذا المجيء ..!!

وفى الحقيقة ؛ يمثل هذا الكتاب المحاولة المبذولة لوضع النقاط على الحروف بالنسبة للقضية الدينية ، وبحثها ومناقشتها بنفس الأساليب المتبعة فى المناهج الفيزيائية والطرق التجريبية المتعارف عليها والمؤكد صلاحيتها وصدقها المطلق ، وصحة استنتاجاتها على مدى تقدم علم الإنسان وحضاراته .

وهنا ينبغى أن أشير إلى أن بحث " القضية الدينية " من منظور مطلق ، وليس من منظور نسبى ، أو من منظور دينى مقارن ، يفرض علينا اللجوء إلى فرض " مُسَلَّمات أساسية : **Essential Postulates** " يفترض صحتها ، أو حتى خطؤها (فهذا لا يهم) ، ولا يقام على هذه المُسَلَّمات البرهان بشكل مباشر ، ولكن يتم البرهنة عليها من خلال ما تؤدى إليه من نتائج قابلة للملاحظة والقياس والتحقيق .

---

[٤] **سوف نرى ــ فى هذا الكتاب ــ أن " الفكر العلمى السائد هو الذى سيخضع لفكر العقيدة " وليس العكس ، وذلك بلا أدنى تضحيات عقلية ، أو منطقية . بمعنى أننا سوف نجد أن " القضية الدينية " هى " القضية العلمية الكلية " بينما نجد العلم بمفهومه الحالى هو " القضية العلمية الجزئية " . أو أن العلم هو أحد النتائج الجزئية والحتمية التي تقررها القضية الدينية العامة .**

[٥] **حول معنى لفظ الجلالة " الله " ، وموقف الكنائس العربية من هذا الإسم .. أنظر : الملحق الخامس من هذا الكتاب .**

فينبغى أن نعرف أنه لا يمكن بناء " أى نظرية " ، بدون اللجوء إلى فرض المُسَلّمة أو المُسَلّمات الكافية ، والفروض (Hypotheses) الأساسية التى تقوم عليها أو تؤسس عليها هذه النظرية . ولا بد لنا أن نعرف أن المُسَلّمات الأساسية ــ فى أى نظرية ــ لا يقام عليها البرهان بشكل مباشر ، بل يقام عليها البرهان بشكل غير مباشر . وذلك بالنظر فيما تؤدى إليه هذه المسلمات من نتائج . ومن واقع اختبار صحة هذه النتائج يتم الحكم على صحة المُسَلّمات نفسها . فإن صحت نتائج المُسَلّمات صحت المُسَلّمات نفسها ، أى إننا نكون قد أقمنا الدليل بذلك أو البرهان على صحتها وصدقها . وإن بطلت النتائج التى تؤدى إليها المُسَلّمات ، بطلت المُسَلّمات نفسها ، أى أننا نكون قد أقمنا الدليل بذلك أو البرهان على بطلان هذه المُسَلّمات . **كما ينبغى أن ننبه إلى أنه : ليس القيمة فيما يفرض من المُسَلّمات ، بل القيمة فيما تؤدى إليه هذه المُسَلّمات من نتائج قابلة للملاحظة والقياس والتحقيق للتثبت من صحتها وصدقها .**

وليس فى هذا أى تجاوز علمى ، فالأمثلة الدالة على هذا المنهاج ، وصحة استخدامه ، كثيرة فى مجال الفيزياء العامة ، بل وفى كبرى النظريات العلمية فيها . فعلى سبيل المثال نجد أن :

" النظرية النسبية الخاصة : The Special Theory of Relativity " تقوم على مسلمتين أساسيتين [٦] هما :

المُسَلّمة الأولى : وهى التى تقول بأن سرعة الضوء هى سرعة ثابتة بالنسبة لجميع الأنظمة القصورية " Inertial Frame of References " وهى سرعة لا تتأثر بحركة المصدر أو المستقبل (وهذا يعنى أن سرعة الضوء لا تتأثر بحركة مصدر الضوء ، كما لا تتأثر بحركة الشخص الملاحظ لها) .

أما المُسَلّمة الثانية : فهى تقول بأن القوانين الطبيعية أو الفيزيائية ، أو المعادلات الرياضية الدالة عليها واحدة لجميع الأنظمة القصورية ، بغض النظر عن سكونها أو حركتها المنتظمة فى خط مستقيم .

---

[٦] بديهى ــ هنا ــ لا يهم فهم هاتين المسلمتين للإستمرار فى قراءة هذا الكتاب . فالمقصود من ذكرهما هنا فقط ، هو بيان أن النظريات الفيزيائية الكبرى تستند إلى مسلمات لا يتم البرهنة عليها بشكل مباشر ، على النحو السابق ذكره . بل يتم البرهنة على صحة هذه المسلمات من خلال ما تقدمة إلينا من نتائج صحيحة قابلة للملاحظة والقياس والتحقيق .

واستنادا إلى تلك المُسَلَّمَتين ، فقد تم استنتاج مجموعة من القوانين الفيزيائية الأساسية ، والتى أمكن التحقق من صحتها معمليا وتطبيقيا . نذكر منها على سبيل المثال ؛ معادلة آنشتين الشهيرة التى تربط بين كتلة الجسم والطاقة الكلية الكامنة فى هذه الكتلة ، والتى تقول بأن : [**طاقة الجسم = كتلة الجسم × مربع سرعة الضوء**] . ولما تحققت فعلا صحة هذه المعادلة معمليا وعمليا ، فإننا نكون ــ فى الواقع ــ قد أقمنا الدليل ، أو البرهان ، على صحة وصدق هاتين المُسَلَّمَتين الأساسيتين . وهذا هو عين المنطق المستخدم فى هذا الكتاب .

فإذا أردنا أن نناقش الدين بمفهوم النظريات الفيزيائية السابق ذكرها ، فلا بد لنا أن نفترض مسلمة ما أو عدة مسلمات أساسية ، ثم نشرع فى السير لنرى ما تؤدى إليه هذه المسلمات من نتائج . ثم علينا ، بعد ذلك ، أن نختبر مدى صحة وصدق هذه النتائج بكل الوسائل . وبديهى إن صحت النتائج صحت المسلمات المفروضة ، وإن بطلت النتائج بطلت المسلمات المفروضة . وبديهى ليس فى هذا أدنى تجاوز علمى ، كما سبق وأن بينا .

واستكمالا لتطبيق هذا المنهاج العلمى لابد لنا وأن نؤكد على أنه : كما لا يمكن الجمع بين المتناقضات فى القضية العلمية ، فكذلك لا يمكن الجمع بين المتناقضات فى القضية الدينية . على اعتبار أن الأخيرة (أى القضية الدينية) سوف تخضع لنفس القواعد والأسس والمعايير التى تخضع لها القضية العلمية .

واستنادا إلى هذا الفكر المتقدم ، فقد تم تطبيق هذا المنهاج العلمى أو المنهاج التجريبى ــ فى هذا الكتاب ــ على حشد من الديانات الأساسية والموجودة الآن على الساحة البشرية . وكان على الكاتب ، إختيار أحد **الأنظمة الدينية** ***(أى دين ، بلا أدنى حساسيات أو تعصب ما)*** [٧] ، **ثم نفترض فيه الصحة أو حتى الخطأ ــ فهذا لا يهم ــ** وذلك كمسلمة أساسية أولى ، ثم نشرع فى بحث ما تؤدى إليه هذه المسلمة من نتائج . ثم نقوم بإختبار هذه النتائج بشتى الطرق ، فإن صحت النتائج صحت المسلمة ، وإن بطلت النتائج بطلت المسلمة . ثم نكرر هذا بالنسبة لباقى الأنظمة الدينية الأخرى .

---

[٧] **من المهم أن نشير هنا ، إلى أن المسلمات الأساسية التى تفرض فى " النظريات العلمية " لا تأتى من فراغ ، بل عادة مـــا تكون لها جذور فى أرض الواقع . فقد تشير الخبرة اليومية ــ مثلا ــ إلى صحتها ، أو قد يكون هناك بعض الدلائل ــ مثلا ــ التى توحى بأنها صحيحة . كما سبق وأن رأينا فى المسلمات الخاصة بـــ " النظرية النسبية الخاصة " .**

وبناء على هذا ، فإن فرضية أساسية أو مسلمة أساسية **تقول مثلا** بأن : " **الديانة الإسلامية هى ديانة صحيحة** " لن يزيد قبولنا لها عن معنى " **القبول المعلق** " ، بمعنى أن قبولنا النهائى لهذه المسلمة سوف يتوقف على مدى إختبارنا لصحة ما تؤدى إليه هذه المسلمة من نتائج . فإن صحت النتائج التى تؤدى إليها هذه المسلمة صحت المسلمة نفسها أى أن " **الديانة الإسلامية هى ديانة صحيحة** " فعلا ، وإن بطلت النتائج التى تؤدى إليها هذه المسلمة بطلت المسلمة نفسها ، أى أن " **الديانة الإسلامية هى ديانة باطلة** " . وليس فى هذا أى تجاوز منطقى أو تجاوز علمى أو فكرى كما سبق وأن ذكرنا . وبديهى سوف نطبق نفس هذه المبادىء على الديانات الأخرى ، ثم نجرى عليها نفس الإختبارات السابقة .

وسوف أكرر القول بهذا الفكر مرارا على طول هذا الكتاب ؛ حتى لا ينسى القارئ ما يدور فيه من فكر علمى من جانب ، وحتى لا يعتقد خطأ بأن هناك تسليم أعمى بالمسلمة المفروضة بدون إخضاع نتائجها إلى الإختبار الصارم والتجربة القاطعة ، حتى يمكن القطع بصحتها . ولأننا إذا لم نفعل هذا ؛ لا نفقد " للقضية الدينية " معناها فحسب ، بل يصبح " الدين " أيضا هو " قضية إيمان جزافى أو إيمان إعتباطى " يعوزه البرهان اللازم لتأكيد صحته وصدقه ، **وبهذا يفقد هذا الكتاب مصداقية عنوانه ، كما يصبح كتاب بلا هدف .**

وبديهى أن مثل هذا المنهاج العلمى ، يستلزم عرض الأنظمة الدينية على نحو كلى وشامل (**Global**) ، حتى تسهل معه (أى حتى يسهل مع هذا العرض) الرؤية الكلية والموضوعية للنظام الدينى ككل على نحو واضح ومتكامل . وبذلك يمكن رؤية ما يقدمه الدين من فكر مباشر للبشرية . ولهذا فقد تجنب هذا الكتاب أى مناقشات فلسفية تقول بها العقيدة تجنبا للتشتت الفكرى من جانب ، وحتى يكون الكتاب أكثر موضوعية وتركيزا من جانب آخر . فعادة ما تؤدى المناقشات الجانبية لفلسفات الديانات إلى تسرب الحقيقة أو حتى إختفائها عند الإستغراق الكامل فى هذه المناقشات الفرعية لتلك الفلسفات . كما يمكن أن تحجب مناقشة هذه الفلسفات فكر العقيدة نفسه عن العين غير المتخصصة . لذا فإن العرض العقائدى فى هذا الكتاب هو عرض موضوعى وعلمى إلى أقصى درجة ممكنة .

وقد بدأ هذا الكتاب بالفصل الأول الذى يشرح فيه المؤلف بعض الإعتبارات الأساسية فى مناقشة الفكر الدينى ومفهوم التبشير كما نألفه فى حياتنا اليومية . كما يشرح المؤلف **الدوافع من**

وراء ظهور هذا الكتاب ، وذلك من خلال تجربه دينية وعلمية مباشرة عاشها المؤلف على مدار سنوات طويلة وممتدة فى مجالات متشعبة ومتباينة من العلم والدين والفلسفة .

أما <u>الفصل الثانى</u> فهو يستعرض رحلة الفكر الإنسانى في محاولته لتعريف الدين ، كما يتعرض للمفهوم الحالى للدين من خلال المنظور الإنسانى له (وليس من المنظور الإلهى) . وهو مفهوم ــ كما سنرى ــ قاصر ومحدود للغاية ، بل وسوف نرى أن التعريفات الحالية للدين تسمح بتسرب الأديان الوضعية والأديان الوثنية من خلالها لتحتل مكانا طبيعيا جنبا إلى جنب مع الديانة الصحيحة . لذا لزم إعادة صياغة " **تعريف الدين** " بمفهوم أكثر دقة عن ذى قبل ، حتى لا يسمح ــ هذا التعريف ــ بتسرب مثل هذه الديانات الوثنية من خلاله . كما تم وضع الحد الأدنى من الشروط الواجب توافرها فى الديانة ، لكى تكون صحيحة وبأنها وحى إلهى قادم ــ حقا ــ من السماء . وبالتالى نستطيع ــ الآن ــ الحكم وبشكل قاطع على الأديان الموجودة على الساحة البشرية من حيث صحتها أو بطلانها .

وفى هذا الفصل أيضا ، تم الإنتهاء إلى أن " **القضية الدينية** " هى " **قضية علمية كلية** " بكل ما فى هذه الجملة من معنى . كما وإنها (أى القضية الدينية) ليست " **قضية غيبية** " ، كما نشأنا على الإعتقاد الزائف فى هذا ، بل هى " **قضية يقينية** " يمكن إخضاعها لشتى فروع المناهج العلمية والتجريبية المألوفة لدينا لبحثها إلى أى درجة مطلوبة من الدقة ، والحكم عليها بشكل قاطع ، شأنها فى ذلك شأن أى قضية علمية أخرى . **وبديهى سوف تعتمد البراهين المقدمة على المُسَلّمات المفروضة ، أما الحكم على صحة المُسَلّمات نفسها فسوف يعتمد على النتائج النهائية المستنتجة منها ، وهذه النتائج هى التى سوف تخضع للاختبار لبيان مدى صحتها .**

كما يناقش هذا الفصل أيضا " **ظاهرة تعدد الأديان** " ، وقبول الإنسان لهذه الظاهرة على إنها جزء من الفطرة البشرية . **وسنرى أن " فطرتي : التدين ، وإدراك وجود الله " ، وكذا عمليات " غسيل المخ الجماعية " التى يجريها كهنة العقيدة على الأتباع والشعب ، هذا إلى جانب " عدم فهم دور الدين فى حياة الإنسان " ، وكذا " إنكار دور العقل فى البرهنة على صحة العقيدة " ، هى <u>العوامل الخمسة الحاسمة</u> التى أدت إلى وجود مثل هذه الظاهرة .** كما يتعرض هذا الفصل أيضا إلى موقف المنهاج التجريبى فى العصر الحديث ، وكذا موقف مدارس علم النفس من " **القضية الدينية** " . وسيرى القارىء إلى أى مدى التخبط الموجود فى تحديد العلاقات بين هذه المناهج وبين القضية الدينية . وسوف يناقش هذا الفصل أيضا أهم البراهين

الدالة على وجود الله ، والتى جاء بها الفكر البشرى ، والبراهين المقابلة لها كما يجيء بها الفكر القرآنى . كما ناقش هذا الفصل ــ أيضا ــ باختصار بعض الديانات الموجودة الآن وما تقدمة من فكر للإنسان .

أما **الفصل الثالث** فهو يعرض للتجربة البشرية مع الديانتين اليهودية والمسيحية تخصيصا ، وبدون أى فلسفات وكما يقول بها أهل العقيدة . وهو عرض تجريدى وكلى إلى أبعد مدى . وسيرى القارىء جيدا ما تحويه هذه الديانات من مضامين قد خلفت المرارة للإنسان ، **وحدت به نحو الإبتعاد عن الدين والتدين على نحو مطلق** . وقد ناقش هذا الفصل حقيقة الأنبياء ، والنصوص المقدسة ، والفكر الإلهى ، كما تقدمة تلك الديانتين ، من واقع فكر الكتاب المقدس وكما يؤمن به أهل العقيدة .

أما **الفصل الرابع** فهو يناقش رد الفعل الدينى لدى العلماء والفلاسفة والمفكرين ، لما سببته لهم هاتين الديانتين (اليهودية والمسيحية معا) من رد فعل سيء حول مفهوم الدين . وكذا مسئوليتهما الحقيقية عن إبتعاد الإنسان أو عزوفه عن الدين والتدين بوجه عام .

ولبيان عجز العقل البشرى وما يقدمه من حلول بديلة ، حول قضايا وجود الإنسان ومصيره ، لزم تلخيص الفلسفة البشرية على نحو كلى وشامل منذ نشأتها منذ فجر الحضارة البشرية ، وحتى الفلسفات المعاصرة . أو بمعنى آخر تقديم الفلسفة البشرية كاملة فى جرعة مكثفة ، حتى يتبين لنا جيدا بأن الفلسفة لم تقدم للبشرية فكرا يذكر عن الدين ، أو التدين ، أو الله ؛ بل وقفت ــ الفلسفة ــ عاجزة عجزا كاملا أمام هذه القضايا المصيرية بالنسبة للإنسان .

كما تم مناقشة أهم الأديان الأخرى ، على طول الكتاب ، والموجودة ــ الآن ــ على ساحة الفكر البشرى مثل الديانة البوذية ، والهندوسية ، والزرادشتية ، والطاوية .. وذلك باختصار شديد جدا ، ولكنه ــ مع ذلك ــ يكفى للإلمام الكامل بهذه العقائد ، وما تقدمة هذه الأديان من فكر للإنسان . كما يحوى الكتاب أيضا ، ستة ملاحق ، غير الخاتمة . وهى ملاحق ضرورية لإستكمال الإتصال الفكرى فى العرض . ثم ينتهى الكتاب بالحقيقة المطلقة عن وجود الله حقا وصدقا ، وعن وجود الدين حقا وصدقا ، بالبراهين العلمية القاطعة والتى لا تقبل معها أى شك .

هذا وقد تم توخى الدقة فى كتابة هذا الكتاب إلى أبعد الحدود ، وذلك لما تمليه الأمانة العلمية ، والدقة المطلوبة فى مثل هذه الكتابات . ولهذا كان لا يتم الاستشهاد إلا بالمصادر المعتمدة ، والموسوعات العلمية والمراجع الموثوق بها فقط . وأحيانا كان يلزم التأكد من وجود المعلومة فىْ أكثر من مصدر حتى يمكن كتابتها هنا ، وخصوصا إذا ما كانت المعلومة تاريخية وذات حساسية خاصة .

كما بذلت قصارى جهدي ، لكى أجعل هذا الكتاب مكتفيا بذاته (**self-contained**) ، بمعنى أنه لا حاجة للقارىء لأن يلجأ إلى الخروج منه إلى كتاب أخر ، لإستكمال سياق مطرد أو غير مطرد فيه . مع توخى الإيجاز الشديد ــ فى العرض ــ ما استطعت حتى أتجنب الإطالة على القارىء ، من جانب ؛ وحتى أتجنب احتمال ضياع الحقيقة عند مناقشة فلسفات لا لزوم لها ، من جانب آخر . وقد إنعكس هذا وذاك على كثرة التذييلات الواردة بالكتاب ، حتى بلغت **ستمائة واحد وثلاثين تذييلا** (فى هذه الطبعة [٨]) ، **بين مصدر وتعليق ونقد** . كما يلزم الإشارة هنا إلى أننى ــ فى أحيان قليلة جدا ــ فضلت تكرار بعض النصوص (ثلاث أو أربع مرات على الأكثر) عن الإشارة إليها فى صفحات سابقة ، حتى لا اقطع إتصال فكرى مستمر إستكمالا لرؤية متكاملة لبرهان هام ، أو لتأكيد فكرة ما من منظور مخالف لما سبق عرضه .

وقد أعد هذا الكتاب ليكون مرجعا لكل من يهمه الأمر لمعرفة وجوده ومصيره بشكل قاطع ومحدد . كما كتب هذا الكتاب ليخدم كلا من القارئ العادى ، والقارئ الدارس ، وكذا القارئ المتخصص فى برامج مقارنة الأديان ، كل على حد سواء .

كما يجب أن يفهم ؛ أن هذا الكتاب ليس " كتاب فلسفة " ، أو " كتاب أدب " ، كما وأنه ليس " كتاب يمثل وجهة نظر شخصية فى الدين " ؛ بل هو " كتاب علم " بكل ما تحوى هذه الجملة من معنى عريض لها . فهو " كتاب علم " يحسم وبشكل قاطع المعنى الحقيقى " للقضية الدينية " ، أو هو ببساطة " كتاب علم " يحسم الحقيقة المطلقة عن : " الله .. والدين .. والإنسان " .

ثم تبقى كلمة أخيرة ، وهى أن هذا الكتاب هو ــ فى الواقع ــ نتاج عمل مضن ومتصل لسنين طويلة ، لبحوث علمية ودينية وفلسفية فى غاية من التنوع والتباين ، قام بها شارد فى أدغال العلم ، شاء له الله (ﷻ) أن يعثر على الحقيقة ، فعاد بها وهو موقن من أنه قد حسم

---

[٨] **كانت خمسمائة خمسة وثمانين تذييلا فى " الطبعة الأولى " ، أي بزيادة ٤٦ تذييلا .**

أمر القضية الدينية ..!! **فشرع يكتب هذا الكتاب ، وهو يملؤه الحزن والأسى** .. على ذلك الإنسان .. الظلوم لنفسه الجهول بحقيقة وجوده ..!!

شرع يكتب هذا الكتاب .. إلى ذلك الإنسان .. الذى **يستهويه الغموض** بوعى منه أو بدون وعى ، **والذى يستعذب أن تكون الحياة لديه لغزا أبديا لا يستطيع حله** ، والذى تأخذه العزة بالجهل إذا ما عثر على صَدَفَة (**a shell**) .. فيعتقد أنه قد أدرك شيئا ..!! أو يعتقد أنه هو الذى صنع هذه الصَدَفَة (**The Shell**) ..!!

شرع يكتب هذا الكتاب .. إلى ذلك الإنسان .. الذى **لا يريد أن يدرك أن رحلة حياته عبارة عن طريق واضح المعالم يملؤه النور** .. بدايته نور .. وأوسطه نور .. ونهايته نور .. وطريقه لا يحوى حتى الظلال .. ولا لبس ولا غموض .. ولا يوجد أدنى تضحيات عقلية فيه . ومع ذلك فهو يصر ــ بوعى منه أو بدون وعى ــ على أن يغمض عينيه دون كل هذا النور .. ثم يصرخ مدعيا أنه لا يرى هذا النور ..!!

شرع يكتب هذا الكتاب .. إلى ذلك الإنسان .. الذى لم ولن يدرك إنه الخاسر الوحيد فى هذا الوجود .. إذا لم يدرك حقيقة وجوده .. وحقيقة وجود هذا الوجود .. لأن الحقيقة المطلقة فى أنتظاره ، عند أول منعطف من طريق حياته هذا .. وهو ملاقيها .. شاء هذا أم أبى ..!! **وسيدرك فى ذلك الحين ــ إن لم يع هذه الحقائق ــ أنه لم يحقق الغايات من خلقه ..!! وأن عليه أن يدفع الثمن عن كل هذا** ..!!

* * * * * * * * * * * *